

## سيرة الحبر الطيب الذكر

## عبدالله قراعلي الماروني الحلبي

لقس توما البيودي نشرها بالطبع لأول مرة وطلّق حواشيا الاب انطون ربّاط اليسوعي (تسمة) وماذا اقول عن القس باسيل الهدناني (١) المكتبي بالترواح في رهبتنا الذي استمرّ بجاهداً اتوّف من اربعين سنة وبالغ في السيرة شي يطول شرحه . وعن سليمان الشنميري (٢) وحنا دوين (٣) فالاول منهما ابناً عن موته قبل شهرين واستدام يخبر به الى يوم وفاته وانا كنت خادمه في مرضه . لأمّ الثاني حين دفن سليمان المذكور فالشار اليه ابناً عن موته للرئيس وكان ذلك امام الرهبان انه بعد اربعين يوماً من دفن سليمان ينتقل هو . وهكذا صار . وهذا حنا المذكور ما رأيت قط يسمع القداس الا وهو بالكبر وكان يهرب من الكلام الجمال قولاً وسعاً وكانت قراءته الروحانية في قلايته في الانجيل دائماً فيما يخص الآلام . وعند قراءته كان يذرف الدموع . فلتبق القس حنا الباني (٤) وعبدالله البشري (٥) اللذين بعد وفاتهما ظهروا الى البعض من الآباء واعتبرا عن السعادة التي حصلوا عليها . وقد اقتصرنا تسمية كثيرين غيرهم لثلاث طيّل الشرح فهؤلاء جميعهم هم اثمار رشد عبدالله والآن يشاهدونه في السما . (٦)

- (١) البسة الاسكيم الاب عبدالله قراعلي الرئيس العام سنة ١٢٠٠ في دير مار اليشع
- (٢) ليس الاسكيم من يد الاب عبدالله قراعلي في ١٥ آب سنة ١٢٠١ في دير مار اليشع وتوفاه الله في ٢٧ نيسان ١٧٠٧ وله من العمر ٣٣ سنة
- (٣) من غزير من عائلة زوين ليس الاسكيم من يد الرئيس العام في ٢٠ آب سنة ١٢٠٠ وتوفاه الله في الدير ذاته في ١٨ حزيران ١٢٠٢ وله من العمر ٥٩ سنة
- (٤) ليس الاسكيم في ١ حزيران ١٦٩٨ في دير مورت . وورا وتوفاه الله في دير مار اليشع في ١٧ نيسان ١٧٠٦ وهو اول من تولّى من الرهبان
- (٥) ليس الاسكيم مع حنا الباني رتوفاه الله في دير مار يوحنا رشييا في ٢٥ آب سنة ١٧٠٦
- (٦) قال عجمع نشر الايمان في رسالة تلبية بث جا للرهبان البديين (٤ شباط ١٩٠٥) ذكراً فضائل هؤلاء الآباء الاولين : « وليذكروا [ الرهبان ] ايضاً ما نتقى ابازم من المشاق والذباب فكانوا اغنياء في الفضيلة فحيرا في اعتناهم . فليتبصوا آثارهم ويكونوا مبرائناً مقدساً لهم ويضئوا كالجوهر في افق الكنيسة اذ يستيرون بشهامة امام الرب بالروح والدعوة التي دعوا اليها »

فعبده كان عدو الكذب والنفاق وكان ذا عدل وقسط. بهذا المقدار حتى اذا حدث حادث لاحد من العزيزين عنده في الرهبة كان يحكم عليه بالمدل بشجاعة هذا مقدارها حتى ولو عرف انه يجسرهما كان له لم يبال. وسوف يتبرهن لك ذلك في سيره وهو مطران. ومن خصوص فضيلة ايمانه ورجائه في الله كان يفوق ادراكي وادراك غيري واقتراني عاجز عن تبرهن ذلك

فحين اخذه المشايخ الى عند البطريرك لكي يرسمه حسب امره فبعد وصرلهم الى قرية عجبتون حيث كان البطريرك يستنظره حدثت مخاصمة بين المشايخ وهي هذه: ان المشايخ كانوا حلفين والحلفان يريدان ان يكون مطرانها. اما مطران حلب مخايل البلوزاني الاصل (١) الذي كان ساكناً في طاميش ومسمى في اولاد ابي ناصيف (٢) لا عرف برسامة المذكور توجه الى عند البطريرك ليكون من الرسلين فهذا المذكور توهم في رسامة عبدالله انه اذا صار مطراناً ربما الحليتين في حلب يطلبونه ليكون هو مطرانهم ويخسر هو رعيته حلب. وسبب هذا الوهم هو ان في تلك الايام كان الاساقفة في يد البطريرك يتقل ويغير على خاطره وهذا الامر على القول درج في الطائفة حين ابتدوا يرسمون بطاركة من تلاميذ المدرسة (٣). فحلف من المشايخ المكثيين باولاد ابي ناصيف طلبوا من عبدالله انه يكتب على حاله تمسك انه ما يطلب رعية حلب ولا يقبلها ولا يتزل الى حلب بنوع ما وان تزل يكون عنده خسارة مبلغ دراهم ٣٠٠٠ غرش. فعبده الله اذ كان مرامه ان تبطل رسامته فحضر الفرصة وصرخ بصوت عال: لا اكتب ولا ارتسم. اما الحلف المكثي باولاد ابي نوفل والجميع هم بخوازنة اشتدوا ضد الاولين وعظمت المخاصمة بينهم بهذا المقدار حتى كل واحد من الحلفين ركض على سلاحه. فلما رأى البطريرك والطارين ذلك ارتقوا على عبدالله وامره البطريرك امرًا ان يقبل. فما امكن بل قوله كان هكذا: انا لا ازيد الرسامة ولا طلبتها كيف ارتسم ببيونيا تحت وعد ووعد. ودامت هذه المخاصمة

(١) جملته مع البطريرك جبرائيل البلوزاني سنة ١٧٠٤ خلفاً له على الابريشة الحلية

(٢) اطلب كتاب الايمان في اخبار لبنان (ص ٨٩)

(٣) هذه مسألة تقتضي شروفاً طويلاً نكتفي هنا بالاشارة الى المجمع اللباني سواء كان في

المتن (قسم ٢ باب ١٤ وقسم ٣ باب ٤-٦) او في الذيل (النصل ٤١)

يوماً وليلاً. أخيراً لتطاني هذه الشرور والمخاضات كتب عبدالله صكاً ومضمونه : انا عبدالله اعطيت قولاً وقراراً اني ما اتميز عن رعيتي ولا اقاوض بغيرها وبالخاصة رعية حلب. هذا الذي كتبه من فطنته لكي يرجع الشايخ عن الخاصة. فحينذ ارتفع القال والقبيل ورسومه في كنيسة عجلتون وصار ذلك في سبعة عشر يوم من شهر ايلول سنة ١٧١٦ الف وسبعمائة وست عشرة مسيحية . وبعد ايام قلائل جدا واجهته انا في عجلتون وحين واجهته اعطاني منشوراً من البطريرك يعقوب لمجتمعا به يأمر ان نجتمع وتقم رئيساً عاماً ومديرين ونتوجه الى عنده ليثبتهم وعلى هذا السند عملنا مجتمعنا واقم فيه جبرائيل فرحات رئيساً عاماً . وباقي مجرورية المجمع والحوادث التي صارت بعدها تجدها محررة في تواريخ الرهبنة

اما عبدالله بما ان ظن الجميع فيه انه رجل متوحد محب التقشف والافتراد وما بشر قط رئاسة الكهنوت وخاصة امور الشريعة لان منهوم في الجبال ان المطارين هم الذين يشرون للشعب فكان كثيرون من محبيه وغيرهم يقولون : مسكين عبدالله ظلمه . هذا رجل خانف الله تكن رعاية الانفس وخاصة في تلك البلاد تضر عليه . وفي ذلك الحين كان زمان زيارة الرعية التي ارسم عليها فاراد البطريرك ان يطلع معه الى قرية بسكتا ليزور تلك الرعية بزعمه لكي يلمسه كيف السارك . هذا الظاهر والباطن الله اخبر به . فحين اوجدوا في بسكتا مرض عبدالله واستدام مرضه اتوف من اربعين يوماً طريح الفراش . وبعد ان تقوى قليلاً نزل الى قرية عجلتون وبعد مدة قليلة ابتداء بالوعظ على الشعب كالرف الرؤسا . الحقيقيين وابتداء يشرع كانه منذ صباه كان دارس الشريعة وحافظها غيباً . فعبجت الناس منه وظهرت له سطوة على الجميع بهذا المقدار حتى حين كان يأمر امرأ في الكنيسة او خارجاً عنها كانوا يظنون ان من خالفها خالف الله بالحقيقة . وظهر ما ذكر للمالي والدون حتى الحكام والامراء والمؤمنين والغير مؤمنين كانوا يتواردون اليه ليشرع بينهم والذي كان يحكمه جائز على الجميع وبالاكثر الغرباء . فانهم مراراً شتى كانوا يتركون قضائهم ومشتعيرهم وياتون اليه وبعد الحكم عليهم يا للعجب من اناس غير مؤمنين لان الغالب والمطرب كان يخرجون من امامه راضين لاعتقادهم فيه انه ما يمكن ان يشرع بخلاف الحق كما كان ذلك بالحقيقة . وبهض امراء حدث انه كان يحكمهم في بعض قضايا يقع فيها الغلط اما من

قبل الشهود او من قبل المدعين لعدم معرفتهم النص فكان يرسل يطلب المحكوم عليه للثوب وسطية ما رنمه بالشرية من ماله وكان يشهر للعالي والدون : اني سهوت في هذا الحكم وانا ملزوم ذمة في ان اعرض عليه الضرر الذي صاد له . فباله من تواضع عميت يصر على كثيرين استعماله . كم وكم من المرات حين كانوا ياتون اليه من المدن اناس معتبرون من غير المسيحين ومن الجبال ايضا واذا كانوا يواجهونه كانوا ينطقون علانية ان هبة الله على هذا الرجل . ومع هذا كله كنت تراه متواضعا انيساً مؤانساً للمساكين والفقراء اكثر من السادات والرؤساء .

والبطريك يعقوب وغيره من رؤساء الكهنة من كان يتدر بجرأ ان يحرم احد المشايخ اذا زل زلة توجب ما ذكر والحال ان عيادته بعد ما ارتسم باربعة اشهر خبره ان احد المشايخ الحوازنة الذين في رعيته ارسل الى السحراء الكمي يجبره عن جملة دراهم كانت خفيت عنه . فقال ما تحتم الخبر اشهر حرمه . وناهيك من كبار اهل الجبال في ضربة ما حصلت لهم بعد وخاصة خافوا للتلا مجري هذا الكاس على انكل . فصار اضطراب عظيم فبا بينهم وحين سمع البطريك وباقي المطارين ما صار ظنوا ان عيادته فيه طرف جنون . فراسله اكثر المشايخ بنوع تدليس وتهديد ليحل المحروم من غير ان يحضر ويقر بانهم . فكنت تنظر في عيادته نوع غيرة على الحق بشجاعة هذا مقدارها فانا وغيري عاجز عن وصفها . وكان جوابه دائما الى المراسيل التي كانت تأتي اليه من يسبل المشايخ والى المشايخ : حاشا لي ان آكون في الحيرة واترك النعم ينتربها الشيطان من بين يدي . ولتلاظول الخطاب الترم الشخص المحروم مجي الى دير لويزة حيث كان قاطن المطران عيادته كي يرمي عليه سطة من غير ما يخضع . فصار الامر بخلافه وهو هكذا لاني كنت حاضر انا وغيري من الرهبان . فحين وصل الشيخ المشار اليه اول بكلامه لبيدالله كان هكذا : الذي مثلك ومثل غيرك يده تمتد ان تحومنا نحن ؟ وكلام مثل هذا يطول شرحه . فكنت عيادته الى ان سكن ذلك مصايحته ورد عليه هذا الجواب لا غير : انت يا فلان اثبتت وعيرت طانفتك بالترامك بالشاطين اعداء الله وانا ملزوم ذمة في تحليصك فلا تأم من يريد خير نفسك . فعالما لفظ هذه الالفاظ بكل ود وهدوء وسلامة فعالاً رفع الشيخ عمامته عن راسه وسلاحه الذي اعتاد المشايخ ان ينقلوه وخر ساجداً امام المطران الذي كان قاعداً وصرخ هكذا :

أخطيت في الأرض والسماء وطالب الغفران من الله بواسطة ك وانت ابي من الان وصاعداً. حينئذ نبه عباده وعاقبه وفي الحال ظفرت الدموع من عينه فقبه التائب في البكاء واغلب الحاضرين بكوا وللوقت ارسل منشور تعريف الى المشايخ بان فلان حضر الى عندنا واستغفر من الله على يديا ونحن باركناه وارتفع عنه كل حرم. ثم قال المطران عبدالله الى الشيخ المشار اليه ( بعد ان فرض عليه كقانون قبحاً ودراهم للفقراء مبلغاً يجرز ) : يا ايها الولد الحبيب الشياطين عاجزون على ان يحرثوا لك بدراهمك انا ان التجيت الى الله ما يفوتك برهة من الزمان حتى تعرف دراهمك اين هي. وهكذا صار لانه بعد مدة ليست مستطيلة حضر الى عند احد المشايخ الذي كانت الدراهم منجاة عنده من ابي المحروم وقال له هكذا: دراهمك التي اودعها ابرك عندي تقال خذها. ولما رجع الشيخ المبارك من المطران الى عجلتون كان يدح المطران ويحلف بصلاته فسأله باقي المشايخ : ماذا جرى لك كنت تدم فيه وترت الى عنده وانت بغير نوايا فكيف اقلبت اليوم هذا الانقلاب. اجابهم : اسمعوا لما انبركم . لما ترلت ووقفت امامه بدأت اتكلم بكلام كثير وهو ساكت بحال خشوعي الى ان فرغت انا من كلامي فاجابني هو بكلامه السابق بكل هدو ووداعة لي. ومع كلامه كنت احس في ذاتي ان شيئاً كان يرمي في قايي الحرف والهية منه وهذه الهية والحرف جعلتني ان ارفع عمامتي من راسي واسجد امامه طالباً الغفران. ولما حسستُ بدموعه هاطلة على راسي تحرك قلبي وبدأت انا ايضاً ابكي. واقول لكم ان هذا الرجل ما احد يقوى عليه والكل يستهبرنه لان هذا من عيد الله

ولترجع الى عباده فابتدأ المذكور بسياسة رعيته بنوع ما كان احد يظنه. اولاً بين غيره على خلاص انفسهم وثانياً غيره على الحق ومن زود ثباته على الحق كثيرون كانوا يقولون : هذا عيد ما يغير. ومع هذا كله تواضعه يفرق معرفة كثيرين مؤانسته خاصة للمساكين. واما ثباته وطول روحه حين يتشاجر الناس امامه في الشريعة شي يمسر وحسنه على. ومن حيث سيرته ونسكه وصلواته وقداسته ما غير منها شيئاً عن ما كان في الديرة الا قضية واحدة انه في نومه بدلاً من ان ينام قاعداً بدأ يتكفي راسه على المخدة لايماً ثياباً بموجب القانون وما كان يطلع الا ما فوق الزنار في يده ربات في الكهنوت استمر في اكل الصيام مثل الدير فحتمه كثيرون على ابن

ياكل اللحم لاجل عافيتهم ليقنات به لانه كان ضعيف الجسم . فما امكن . اخيراً التزم  
ناس من رعيته ان يجربوا البطريك وطلبوا منه ان يلزمه بذلك وهكذا صار لانه  
انوجد في جمعية كان بها البطريك والمطارين والزومره بان يأكل زفراً معهم وبما انه كان  
غيراً على الطاعة غيره هذا مقدارها حتى اتصل بها ان الرؤساء العام الذين آتوا بعده  
كانوا اذا امره بشي . ليمله بشرط انه لا يكون فيه شي . يتلم فكان يصله بحسن  
قلب وبسرعة اعظم من سرعة المتدي في الرهنة . فعين امره الرؤساء في اكل الزفر  
اطاعهم وبدأ يأكل قسراً عنه ومع هذا كله جميع الذين رصدا عليه في الزمان من  
رهبان وعوام حين اكله كانوا يرون منه قناعة بهذا المقدار حتى كأنه ما عمال يأكل  
شيئاً . فاستدام في لوزة نحو اربع سنوات ساكن في الدير لان الدير المذكور كان في  
رعيته والحال ان ما كان له مقام معين وفي كل تلك المدة كان يعيش عيشة رهبانية  
مثل ما كان وهو راهب

( تم )

( حاشية التاسع ) هذا الجزء انجد في مكتبة مار انطونيوس الموارنة في روية وان اردت  
الباقى اسأل عنه في مكتبة لوزة والله اعلم

## ملحق

وسماً وجدناه من آثار الرئيس توما البردي صاحب الترجمة السابقة رسالة بحث جا الى  
وزير ملك فرنسا لريس الملس عشر يشكره فيها عن صورة جلاكيه كان ارسلها للرهبانية  
البنانية المارونية . وهذه الرسالة مصونة في باريس في سجلات الوزارة الخارجية ( ١ )

٢ - ايها السيد الكلي السمو والاحترام

المروض على الجناح السامي بعد الدعاء المفروض انه قد صار لي استعداد  
لاستكثار خيركم على الشرف الذي جنابكم السامي شرفتموني بارسال صورة من هو

اكبر ملوك النصارى لتوضع في احد ديورتنا لاجل ما تكون وثيقة الى رهبنتنا وايضاً شرف الى جميع طائفة الموارنة . فانا استصوبت اني اتشاور مع اربعة مدبرين وشيوخ الرهبنة واكبر مشايخ بلاد جبل لبنان فرأينا فرضاً واجباً علينا اننا نطلب وتبرجى من حضرة . موسو يون (١) القنصل الفرنساوي بطرابلس سيرياً الذي جنابكم السامي ارسلتم له الصورة الجلية والبهجة انه يريد يتفضل يشرفنا ويسلنا الصورة بحضور المدبرين وروساء الديورة وشيوخ الرهبنة الذين كانوا مجموعين في ديرنا المسمى على اسم القديس لويز (٢) الذي الصورة مخصوص وضمها فيه وكل اكابر ومشايخ طائفة الموارنة حصلوا وانسروا من هذا الشرف باستمداد واستحضار كلبي . موسو يون القنصل المكرم وانق مطلب الجميع . فليكن محققاً عند جنابكم السامي بان ما كان يمكن يصير ازيد شرف من الذي صار حين قبول هذه الصورة . وانا مقر ومعترف لجنابكم السامي ان الذي صار ما هو الا لاجل الشرف الذي حصل منن هو اكبر ملوك النصارى وان هذا الضياء والابتهاج الذي ظهر في هذه البلاد فهو فعل يعلو فأملأ كل القلوب فرحاً وابتهاجاً زانداً . وبنا ان سيادتكم تواطيم بالحنو والشفقة على رهبنتنا وعلى الغير بيبة هذا مقدارها التي هي علة هذا الابتهاج والرضا انكلي فرجاني من سيادتكم ان تقبلوا مني المديح والشكر ان لفضلكم مني ومن رهبنتي مع طلب الاذن بذلك بالتهجم على جنابكم انكلي سموه . وبغله اشكر فضلكم عن لسان اكابر ومشايخ طائفة الموارنة مع الشعب الغير الذي كان حاضر الاستقبال هذه الصورة الاتيين من اقطار الجبال اللبنانية وهذا صار شهادة لتنازل سيادتكم بالشرف الذي شرفتموني ورهبنتي ايضاً وذلك لطبع في قلوب الجميع الى جيل وجيل ليستقيموا بحفظ الوداد بالارث من ابيهم وليدمروا بالحظوة بنظر رحمة الملك المسيحي النصور ولكي لا يُنسى هذا الشرف انا متهجم على شرفكم السامي ان تحملوا علي وعلى رهبنتي ان نكون تحت حماية الملك المسيحي السيد في هذه التواحي كما هي الرهبات القرية التي لها الشرف الحاصلة فيه اعني حماية الملك . كذلك اتهجم بالتوسل الى

(١) Yon جبل قسلاً في طرابلس بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٧٣٦ خلفاً لمسيودي بليس

(dn Bellis) (تقلاً عن سجلات الوزارة البحرية في باريس ١٧٥٥, n° B7)

(٢) برید دبر لویزه . والمقابلة بين لويزه ولويس من القرابة بمكان

محكم العالمة ان من الان والزمع ان تشرفوا هذه الرهبة الداعية لجنابكم بنظر  
 خصوصي ان نامروا الاساكل بان رهبانا التوجهين كل وقت الى ديرنا في مدينة  
 رومية لينالوا العلوم ان ينجلوا باعتبار على الاوقاف الفرنساوية مثل بقية رهبان  
 القريين من غير مانع. ومن الان مع انتظارنا لاوامركم الشريفة مستعدين ان تنشي في  
 كل ديورتنا الدعاء المتعاد لحضرة الملك مع الميلة الملوكية التي هي فخر الملة المسيحية  
 والدائمة النصر الغير متصر عليها وايضاً ما يمكن ان تفعل الرهبة بالدعاء والصلاة  
 لاجل رفع شانكم ودوام العز لسيادتكم مع القداست المختصة لجنابكم الدومة.  
 وكذلك انا وجميع رهنبي والزمعين ياتوا بدنا لم يمكن ان ينسوا فضلكم واحسانكم  
 مع الدعاء السقيم ابداً كما ذكر وانا مستعد بخدمة سيادتكم وتحت اوامركم على  
 الدوام ايها الشريف الحسب والسو

حرد بدير لوز في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة الف وسبعمائة  
 وثماني وثلاثين مسيحية

مكان الختم  
 الحقيير في الكهنة توما اللبودي  
 مع هذه الاية:  
 اب عام رهبان مار انطونيوس اللبانيين  
 من كان فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً

## الآداب العربية في القرن التاسع عشر

بمحت تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع).

وقبل ان نمخّم تاريخ هذا الطور الاول من الآداب العربية في القرن المنصرم يحيل  
 بنا ان نذكر المستشرقين الاربيين الذين استعقروا ثناء الادباء بما نشره من المصنّفات  
 العربية

ومما يقال بالاجمال ان هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيها بين الاجانب  
 مبلغ العلامة سوستر دي ساسي لكننا نوجب الكلام فيه الى الطور التالي لأنه فيه  
 مات. وكان دي ساسي كقطعة المركز لدائرة زمانه يشيرون اليه بالبنان لتعقن معارفه